

القاموس المتحرك أم غير المتحرك أم كلاهما!!؟

بقلم: د. عبد الأمير حسين علي
كلية الآداب قسم الترجمة

قد يندهش القارئ لمثل هذا العنوان الذي يتسم بالغرابة إذ كيف يتمكن القاموس من الحركة وهو يفترق إلى وسيلة الحركة! ولكي أوفر الوقت على القارئ أقولها مباشرة وببساطة بأنك أنت أيها القارئ الكريم تمثل قاموساً متحركاً. ولتوضيح الأمر أكثر أقول أن القاموس المتحرك يمثل تلك المفردات التي يملكها متحدث اللغة وقد جمعها طيلة السنين التي عاشها مكونة لديه ما يسمى بالقاموس العقلي (Mental Dictionary or the lexicon). وكأمر طبيعي فهناك من قاموسه غني بالمفردات (rich in vocabulary) في حين أن الآخر قاموسه فقير بها (impoverished) وهذا أمر طبيعي كونه يعتمد على ثقافة المرء وخزينه اللغوي.

أما القاموس غير المتحرك فاعني به الكتاب الذي يحمل بين دفتيه مفردات اللغة ومعانيها واشتقاقاتها وهناك أمثلة كثيرة لمثل هذا النوع في كل من اللغتين العربية والانجليزية فهناك في العربية القاموس الشهير 'لسان العرب' لابن منظور 'وقاموس المورد' لمير البعلبكي باللغتين العربية والانجليزية، أما في الانجليزية فلدينا قاموس Oxford وقاموس Longman الخ.

بعد أن أوضحت معنى اللفظتين أنتقل إلى الفروقات بينهما لتسليط الضوء أكثر على دلالة كل لفظه:

- القاموس المتحرك كلماته غير مؤبدة فنحن لم نكتسب اللغة أو نتعلمها على شكل مفردات مرتبة حسب حروف الهجاء وهذا من المسلمات، فقد يتعلم الطفل اليوم مفردة تبدأ بحرف الهاء وغداً بحرف الباء تليها أخرى بحرف الياء فالامر يعتمد على ما نكتسبه أو نتعلمه من أنواع المفردات وهذا يختلف من بيئة إلى أخرى. أما القاموس غير المتحرك فكلماته مؤبدة من الألف إلى الياء ومن السهل رؤية هذا من خلال نظرة خاطفة على أي قاموس غير متحرك في أغلب لغات العالم .

- القاموس المتحرك كلماته متجددة، فكل واحد منا يحاول أن يرفد أو يثري ما لديه من خزين من المفردات سواء بالقراءة أو باستخدام شبكة الانترنت أو من خلال المثيرات الثقافية الأخرى، في حين أن القاموس غير المتحرك بوصفه يفترق للحركة والتفاعل لا يصيبه ما يصيب نظيره المتحرك بل سيعتريه الجمود لذا يبقى ينتظر نعمة التجديد والإضافة من زميله المتحرك والا بقي عاجزاً عن مواكبة التطور الذي تشهده مفردات القاموس المتحرك.

- القاموس المتحرك كونه يمثل الإنسان فهو عرضة للنسيان وهو أمر طبيعي في حين أن القاموس غير المتحرك ليس كذلك، فما يكتب فيه يبقى محفوظاً لزمن طويل فمهما أمتلك الإنسان من ذاكرة قوية، حادة، نشطة تبقى معرضة للنسيان ودلالة هذا تظاهرات جليلة في مضمون المثل الصيني القائل:

'The palest ink is better than the sharpest memory.'

وترجمته: "أوهي الحبر أفضل من أحد ذاكرة".

حيث يبقى الإنسان معرضاً للنسيان مهما أمتلك من ذاكرة حادة في حين ما كتب باوهي الحبر لا يمحي وأذا حصل ومحي فهذا يتطلب وقتاً طويلاً.

وفي ضوء ما تقدم تبرز أهمية كلمة " كلاهما" إذ إن كلا من القاموس المتحرك وغير المتحرك يحتاج بعضهما إلى بعض فهذا لا يتجدد إلا بذاك وهذا إذا ما نسي ذكره ذاك. ومن خلال هذا نخلص إلى حقيقة مفادها إن هذين النوعين من القواميس لا يتجرد أحدهما عن الآخر لأنهما صديقان حميمان لا ينفك أحدهما عن الآخر وربما اللفظ الاصطلاحي الآتي في اللغة الانجليزية

الذي أختتم فيها حديثي خير ما يعبر عن هذه العلاقة (كونهما متلازمين) على الرغم من الشكوك التي تنتابها (وهي غير واردة هنا بالطبع) كما يحمله معنى هذا اللفظ في طبيعته:

' They are as thick as thieves'